

لوحات

(اللوحة الأولى)

يقول تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١).

ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (الحج: ٤٠).

(اللوحة الثانية)

يقول الطرطوشي الأندلسي: أنجع ما في هذا الإنسان قلبه، وله سواد من الحكمة و(أضداد) من خلافها، فإن سنع له الرجاء أذله الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص، وإن تملكه اليأس قتله الأسف، وإن عرض له الغضب استبد به الغيظ، وإن سعد بالرضا نسي التحفظ، وإن ناله الخوف شغله الحذر، وإن اتسع له الأمر استلبته الغرة، وإن حدثت له نعمة أخذته العزة، وإن امتحن بمصيبة فضحه الجزع، وإن أفاد مالأ أطفاه الغنى، وإن عضته فاقة شغلته، وإن جهد به الجوع قعد به الضعف، وإن أفرط في الشبع كظته البطننة، فكل تقصير به مضر، وكل إفراط له مفسد...

سراج الملوك للطرطوشي ص(٥٥٩) الطبعة الأولى، تحقيق د. جعفر البياتي.

(اللوحة الثالثة)

في الغرب أنواع من الصراع: صراع مصالح، وصراع في الأفكار، وقد رسم د. حسن حنفي صورة للصراع الفكري، فقال: الماركسية هي رد فعل على المثالية الألمانية (مثالية هيغل)، والوجودية رد فعل على المثالية والوضعية، والمثالية رد فعل على الفلسفة المدرسية في العصر الوسيط، والإنسانية رد فعل على التمركز حول الله - في الفلسفة المسيحية - والشخصانية رد فعل على الفلسفات المثالية المطلقة، والوضعية رد فعل على سوء استعمال اللغة في الميتافيزيقية الغربية، والظاهرية رد فعل على النزعتين الصورية والمادية في الفلسفة الغربية، فالأفكار يفسر بعضها بعضاً.

موقفنا من التراث، د. حسن حنفي ص (٧٥) طبعة ١٩٩١م.

(اللوحة الرابعة)

هناك صراع قديم متجدد بين الحق والباطل، يأخذ صوراً

عدة، يقول تعالى:

﴿وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كَذَّبُوا وَآوَدُوا
حَتَّىٰ أَنهٖم نَصَرْنَا وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِإِ
الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأنعام: ٣٤).

لقد وقع التكذيب لكثير من الرسل والمرسلين، من قبلك
فاقتد بهم، ولا تحزن، واصبر كما صبروا على ما كذبوا به،
وأوذوا حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم، فإننا لا نخلف الميعاد.

وهكذا نجد معاندة الحق من قبل مشركي قريش، مع
علمهم بصدق الرسول وهو الصادق الأمين كما عرفوه، ولم
يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته قبل الرسالة، وهذه الصورة
تتكرر دائماً مع أصحاب الدعوات الحقّة والمعاندين من الطغاة
البعيدين عن هدي الله.

الحرب النفسية / د. فهمي النجار، طبعة أولى ١٤٢٦هـ، دار الفضيلة ص (٨٧).

(اللوحة الخامسة)

قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ
لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: ٢٥١).

جاء في الظلال: ... لقد كانت الحياة كلها تأسن، وتتعضن
لولا دفع الله الناس بعضهم ببعض، ولولا أن في طبيعة الناس
التي فطرهم الله عليها أن تتعارض مصالحهم واتجاهاتهم
الظاهرية القريبة، لتنتلق الطاقات كلها تتزاحم، وتتغالب
وتتدافع فتتفض عنها الكسل والخمول، وتستجيش ما فيها من
مكنونات مذخورة، وتظل أبداً يقظة عاملة، مستنبطة لذخائر

الأرض، مستخدمة قواها وأسرارها الدفينة... وفي النهاية يكون الصلاح والخير والنماء يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة، تعرف الحق الذي بيَّنه الله لها، وتعرف طريقها إليه واضعًا، وتعرف أن مكلفة بدفع الباطل، وإقرار الحق في الأرض، وتعرف أن لا نجاة لها من عذاب الله إلا أن تنهض بهذا الدور النبيل، وأن تحتل في سبيله ما تحتل في الأرض طاعة لله وابتغاء مرضاته.

هنا يمضي أمر الله وينفذ قدره، ويجعل كلمة الحق والخير والصلاح هي العليا، ويجعل حصيلة الصراع والتنافس والتدافع في يد القوة الخيرة البانية، التي استجاش (الصراع) أنبل ما فيها وأكرمها، وأبلغها أقصى درجات الكمال المقدر لها في الحياة..

الظلال، سيد قطب ١/٣٩٦، الطبعة السادسة.

(اللوحة السادسة)

يشن الفيلسوف نيتشه هجومًا على الحضارة عمومًا، والغربية على وجه الخصوص، فيقول: هنا المدينة العظيمة، فهل لك أن تظفر منها بشيء؟! إن عليك أن تفقد فيها الكثير... هنا (جسيم الأفكار)، فكل فكرة فريدة، هنا (تصدر الأفكار) السامية، حتى تصوير (مزيجًا مائعًا)، هنا تتهرأ كل عاطفة

شريفة، ولا يسمح إلا للعواطف (الجافة) بأن تعلن عن نفسها
بخسيس اصطدامها... ألا بلغت أنفك (رائحة المجازر) حيث
(تحرر) الأفكار ومطاعم السوقه حيث تباع بأبخس الأثمان؟!

أفلا ترى (أبخرة العقول) المصماة تتصاعد منتشرة
كالدخان فوق هذه المدينة؟

ألا تلوح لك (الأرواح معلقة) معروضة، كأنها (فرق قدرة)
بالية؟! ثم إذا هي تنقلب (صحفًا) تنشر بين الناس، ألا تسمع
(البيان الطلي) يستحيل هنا إلى تلاعب ألفاظ؟ وسخائف
تغصّ بها جداول الصحف، فإذا هي (مصارف أقدار).

إن بعضهم يتحدى بعضًا، ولا يعلمون على أي شيء
يختلفون! يأخذ بهم الفيض كل مأخذ، وقد غاب عنها سببه، فلا
يسمعونك إلا صقصة قلوبهم ورنين دنانيرهم.

هنا مقام (جميع الرذائل) والشهوات، وهنا أيضًا (فضائل
مهارات عدة)، ولتلك الفضائل الجمّة أنامل للكتابة، وأرداف
من (رصاص)، وللمتجلين بها (وسادات من جلد) علقته عليها
(الأنواط)، ولهم أيضًا بنات (هزلت أردافهن) فاصطنعن لهن
من (القش) أردافًا.

أي زرادشت، استحلفك بكل ما فيك من (قوة ونور
وصلاح) أن (تتف) على هذه المدينة، مدينة بائعي (السلع) ثم

تكرّر راجعاً إلى الوراثة.. إن الذي يجري في عروق هذه المدينة إنما هو (دم فاسد) فابصق على المدينة الكبرى؛ لأنها (مزيلة) تتراكم فيها (الأفذار)، ابصق على مدينة (النفوس الضعيفة) والصدور الضيقة، مدينة (العيون الحاسدة) والأناامل اللزجة، مدينة (الوقحين والفجار والمعربدين والطامعين البائسين)، المدينة التي يتكدس فيها من يأكلهم (سوس الفساد) من أهل الشهوات المتآمرين (ابصق) على هذه المدينة، وعُدّ أدراجك... لقد كرهت هذه المدينة أنا أيضاً.

هكذا تكلم زرادشت ص (٢٠٣)، المكتبة الأهلية، بيروت.

لا يكتفي بكل ما تقدم، فيعود إلى الحديث عن المدينة التي (لا تقبل الإصلاح): لقد استحال (روما إلى عاهرة) وقيصرها إلى حيوان!

(اللوحة السابعة)

يقول د. عبدالحميد أبو سليمان: ليست قضية العنف والصراعات الدامية في حياة المجتمعات الإنسانية من الأمور النادرة الحدوث، بحيث لا يتوقع المرء وقوعها في حياة المجتمعات والحضارات وتدافعاتها؛ بل إن التغيرات والمنعطفات الكبرى في التاريخ كثيراً ما تقترن في الذهن بأحداث وصراعات دامية، فإذا أضيف ذلك إلى ما زخر به تاريخنا من أحداث الصراعات

والعنف، حتى أدت لسقوط الخلافة الراشدة، وقيام دولة الاستبداد وإماراتها وعصبياتها.

العنف وإدارة الصراع السياسي في الفكر الإسلامي، الطبعة الثانية ص (٤) ١٤٢٨هـ.

(اللوحة الثامنة)

كتب الفيلسوف الفرنسي (ميشيل فوكو) مؤلفاً عنوانه: (نظام الأشياء) تحدث فيه عن نوع من الصراع أطلق عليه: (الإزاحة المعرفية)، وما يترتب عليها من (فراغ معرفي) يؤدي إلى (التشردم)، ولاحظ أن الرؤية الكلية التي كانت تجمع (الكون والله والإنسان) قد تم (اختزالها) عبر مراحل وأحقاب زمنية وفق استخدام مفهوم (الإزاحة المعرفية)، وهكذا فقد أزاح (العقل) - بالمفهوم الكانطي - (العالم الخارجي) - في فترة معينة - ثم أزاح (العالم المادي الاقتصادي)، ثم أزاح بعد ذلك (وجود الله وعالم الميتافيزيقيا) في فترة لاحقة، وأخيراً جاء دور (اللغة والنص) ليزيحا كلاً من (العقل والاقتصاد معاً).

وهكذا تحول خطاب (ما بعد الحداثة) إلى اللغة، حيث وقع في إسارها، حتى أضحي ذا (لهجة فردية شخصية)، لا أحد يفهمها سوى المتحدث نفسه.

نحو نظام معرفي إسلامي، د. عرفان عبد الحميد ص (٤١٥)، الطبعة الأولى.